رحلة إلى كيثرا
سينما الصمت الضاج

لقد تحدثنا في مقالتنا السابقة المنشورة على هذه الصفحة عن المخرج اليوناني الكبير (ثيوانجيلوبولوس) وأفلامه المهمة، بدءاً من فيلمه الأول (الممثلون الجوالون) وانتهاءً بكواليس فيلمه الأخير (البحر الآخر) حيث صدمته دراجة وتوفي على أثرها، وقد تناولنا في مقالتنا السابقة رائعته (تحديقة يوليسيس) الفيلم الحائز على جائزة لجنة التحكيم وجائزة النقاد العالميين في مهرجان كان، سنتناول فيلمه (رحلة إلى كيثرا) الحائز على جائزة أفضل سيناريو في مهرجان كان عام ١٩٨٤ ....

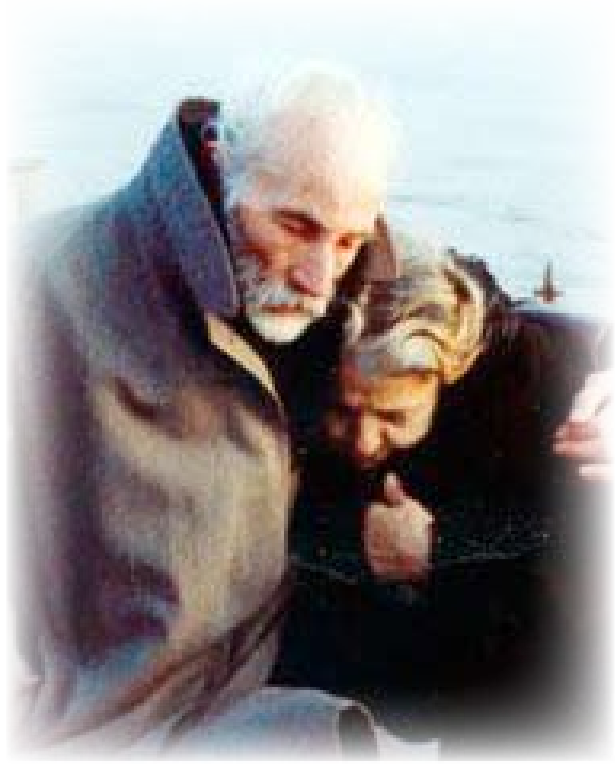

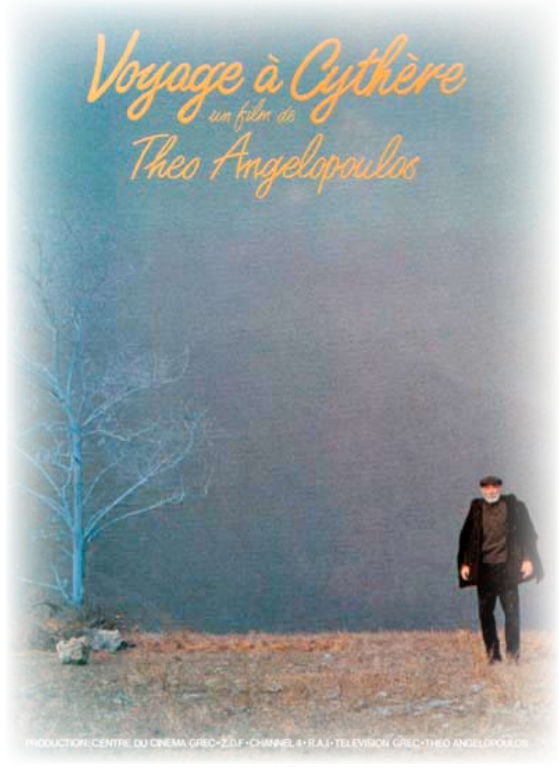

فيلم رحلة كيثرا

محمد علوان جبر

يسميه النقاد (هو أحد الغاز السينما المستعصية على الحل) كونه شكل بصمته المتفردة رغم تأثره بالموجة الجديدة الفرنسية في نظرتها الجادة إلى السينما وفي دعوتها إلى حرية التجريب في اللغة السينمائية، وكذلك تأثره بأغلب المدارس السينمائية التي عملت في أكثر وأخطر وأدق مناطق السينما لإيصال الإبهار والتفرد. في اغلب أفلامه تتردد مفردة الرحيل.. كلازمة ... رحلات عميقة وطويلة لا تنتهي أبدا نهاية طبيعية.. رحلة البحث عن الذات كما في فيلم (تحديقة يوليسيس) التي كانت نظرة إلى الأعماق الإنسانية.... أو تداخل الشخصيات فيها ووقوفها إزاء متناقضات .... أو أن تبقى في حالة تجوال دائم كما في فيلم (الممثلون الجوالون) أو أنها تواجه الموت كما في فيلم (مربي النحل) أو أنها تعود ولا تصل إلى المكان الذي تريد كما في فيلمنا (رحلة إلى كيثرا) ربما تعود أحيانا لكنها تجد نفسها منبوذة ومرغمة على العودة إلى المنفى مرة أخرى برحلة إجبارية.. تندرج اغلب أفلام (ثيوانجيلوبولوس) ضمن سينما التأمل، فهي ترغمنا على أن نكون مشاركين بفعالية في عملية قراءة الصورة أمامنا، تغذي مخيلتنا وتحفز أذهاننا عبر صور متخمة بالجمال، الكثير من المشاهد السكونية الصامتة تدفعنا إلى التأمل والتأويل، ولأنه مفتون بالكادر المفرد معتمدا على اللقطات الطويلة المتواصلة دون انقطاع والتي تستمر لعدة دقائق، كذلك ينتهج أسلوباً هادئاً ورصيناً في اللغة السينمائية عبر الاختزال المتقن للغة السردية، وفيلم رحلة إلى كيثرا يعد أنموذجا، إذ يعمل على الصورة واللغة السينمائية أكثر من الحوار، رغم أننا إذا تأملنا في الحوارات نقف أمام حبكة لغوية، كأننا نقرأ نصوصا عالمية مهمة. كذلك تتميز اغلب مشاهد الفيلم بالجمال والسحر انطلاقا من منظورات شرقية، خاصة بعد أن يقوم بصحبة عائلته زوجته وابنه وابنته بزيارة القرية التي يملكان فيها بيتا... فعبر الريف تتماثل التكوينات الفيلمية مع تشكيلات الفنون اليونانية القديمة حيث يختفي الميلودرامي والحركي وسط الخلفية، يتم تسليط الكثير من الاهتمام على الأشكال المعروضة.. المرئية من الأمام ومن الخلف، وتبقى اغلب الشخصيات معزولة وسط المكان... وحيدة تقف كنقطة سوداء وسط فضاء شاسع من البياض... مستخدما لقطات الطويلة.

(رحلة إلى كيثرا) عبارة عن فيلم داخل فيلم يتحدث عن مخرج سينمائي منهمك في إكمال فيلم يتحدث عن تجربة عودة والده من رحلة نفي قسرية وهنا ندخل في أول تداخل بين الواقع والفيلم، الأب يعود إلى وطنه اليونان بعد أن قضى في منفاه الروسي أكثر من ثلاثين عاما، يستقبله الابن . المخرج السينمائي . وأخته، في تتابع الأحداث، يدخل غربة هائلة منذ أول دخوله البيت، بعد هبوطهم من سيارة التاكسي نرى خطوات العائد من المنفى بطيئة ومترددة، وهو يعانق زوجته.. يكون بمواجهة أسئلة عن المنفى التي يجملها بكلمة (في روسيا يسقط ثلج كثير).. يحاول أن يعيد اكتشاف وطنه عبر رحلة إلى الريف، بعد العودة يعيش الضياع الحقيقي... الوحشة تحفر في روحه وتنعكس بوضوح على حياته اليومية، لم يجد جذوره في المدينة . اليونان . فالمدينة غير المدينة والوطن غير الوطن وفي محاولة للاقتراب من صور قديمة تحتل مساحة في عقله وروحه يقضي ليلته الأولى وحيدا في فندق قديم تحول إلى ماخور عمومي.. كانٍ في ما مضى فندقا أمضيا هو وزوجته فيه أياماً .. وهو يردد كلمة القطار السريع كلما يسمع صوت القطار الذي يمر قريبا من الفندق ، وفي الصباح يصل القرية .. لم يجد من أصدقائه ورفاقه القدامى سوى صديقين له كانا يتفاهمان في ما مضى بلغة الصفير القريبة من لغة الطيور كونهما كانا ثائران تعرضا كثيرا إلى السجن ومن ثم النفي.. ويعيش محنة انه يجب أن يبيع قطعة الأرض المشيد عليها بيته حاله حال البقية.. فيرفض .. مؤكدا علاقته القوية بجذوره .. يسبب رفضه البيع مشكلة للجميع فالشركة المستثمرة يجب أن تستحصل على تواقيع الجميع دفعة واحدة تخلصا من إشكال قانوني كون الأراضي المراد شراؤها متداخلة مع بعضها ، يتم تهديده حتى من قبل أصدقائه وجيرانه بالقتل والموت، وفي ما بعد من الشرطة بان يعاد إلى منفاه لأنه لا يملك الجنسية ، وفي مشهد لا يمكن أن ينسى زيارة المقبرة بصحبة صديقه .. يتحدث مع أصدقائه الموتى .. ويرددان أغنية شائعة (أربعون تفاحة حمراء.. تلفها حبيبتي في منديل...) وهنا تظهر براعة كادر التصوير المتمثل بأعظم المصورين في العالم المصور اليوناني (جيورجوس ارفانيس) الذي صور اغلب أعمال ثيو .. العجوز سبايروس يرقص وصديقه يشاركه التصفيق في تحية إلى أصدقائه الموتى .. تتردد هذه الأغنية المصاحبة للرقصة الحزينة، تعبير عن ضياعه في المنفى.. العمر الذي مضى في المنفى والضياع في الوطن.. هو محاصر بالضياع، ضياع كل شيء بدءاً من العائلة وانتهاءً بالوطن.. وفي توالي دراماتيكي تصدر السلطات قرار نفيه على باخرة روسية تبحر فجرا .. تقرر الزوجة أن تصحبه، لكنهما يصلان بعد أن يبحر المركب، وحسب القوانين انه يجب أن يكون قد سافر وإذا تأخر فهي مشكلة لا تعنيها .. ولهذا يجب عليه أن يمضي ليلته بانتظار الباخرة في المياه الدولية.. وفي مشاهد ذات لقطات طويلة ومتمهلة نرى الطوف وهو في المياه الدولية والعجوز سبايروس يتأمل البحر .. وفي قصيدة مذهلة يتحدث مع الموت .. قائلا .. "خدعتك خمس مرات ... في الحروب والسجون وفي الجبال وفي الحكم بالإعدام وفي المنفى .. اعرف أنك أتيت.. أعرف انك قريب"، في إشارة واضحة إلى الاستسلام التام.. حتى حينما تقرر الفرقة الموسيقية أن تحيي حفلها ليلا وسط البرد.. وعريف الحفل يقول إن حفلنا هذا مقام على شرف ذلك الذي يقف وحيدا في المياه الدولية... وتقرر الزوجة أن تصحب زوجها على الطوف.. حيث يقرران أن يفكا الحبل ليبحر بهما الطوف وسط المحيط... هما متعانقان وسط اللانهاية وإيقاع الأغنية التي غناها في المقبرة يحيطهما... تبدأ اللقطة بالاتساع .. وهما يصغران .. حتى يتحولان إلى نقطتين وسط المحيط ... ذلك الأفق السرمدي ... صاحب هذه القصيدة السينمائية موسيقى مؤلفة موسيقى كل أفلام (ثيو) الفنانة (ايليني كادينرو).

كلاكيت

▪ علاء المفرجي

حادثة كولورادو.. دعاية ايضا

على الرغم من تربع فيلم باتمان "عودة الفارس الاسود" الصدارة لقائمة الافلام الاكثر ايرادا هذا الاسبوع، لكنه لم يكن في مستوى طموح صانعيه في ان يتخطى الرقم القياسي للافلام الاكثر ايرادا ، حيث أحجم العديد من رواد السينما عن مشاهدة أي أفلام بعد حادث إطلاق النار العشوائي في دار للسينما بولاية كولورادو خلال عرض الفيلم منتصف ليل الجمعة والتي ذهب ضحيتها عددا من رواد دار العرض السينمائي.

السؤال الذي يطرحه الكثير في هوليوود هو هل من الممكن ان تسهم هذه الحادثة في تقديم دعاية مجانية للفيلم؟، وبالتالي في زيادة مداخيله في شباك التذاكر، ام العكس؟ خاصة وأن اساليب الدعاية في السينما اتخذت الكثير من الاساليب.

فنجوم السينما ومن لحظة ولادة هذا الفن ، كانوا هم أداة الدعاية الأساسية للأفلام، وظفتها شركات السينما خير توظيف، وصولا إلى ما اصطلح عليه في ما بعد بـ"صناعة النجم"، أو "نظام النجوم"، وهو الكيفية التي يصنع فيها النجم، وكيف تصنع علاقته بجمهوره، والعامل الاجتماعي الذي يحدد هذه العلاقة.

ولسنوات طويلة استمر اعتماد صناع الفيلم في هوليوود على النجم باعتباره مادة إعلانية مهمة، وما ذهبت إليه ماريت ثورب في كتابها "أميركا في السينما" دليل على ذلك، حيث تقول "إن نحو مئة ألف كلمة كانت تخرج يوميا من هوليوود جاعلة منها ثالث اكبر مصدر للأخبار بعد واشنطن ونيويورك"، وهي أخبار خاصة عن نجوم السينما.

وكان من الطبيعي أن تتطور وسائل الدعاية والإعلان عن المنتج الهوليوودي مع التطور المضطرد لفن السينما، وهو تطور اتخذ أشكالا وصيغا مختلفة الهدف منها تسويق هذا المنتج، وأنموذج للإعلان الفاعل والدعاية القوية هو الضجة الكبيرة التي رافقت الاستعداد لعرض فيلم جورج لوكاس (حرب النجوم) بجزئه الأول قبل خمسة أعوام، وهو أنموذج يستحق التوقف عنده للإشارة إلى احد الأساليب الهوليوودية في الإعلان والترويج عن المنتج الفيلمي، فقد أثار الإعلان عن هذا الفيلم موجة من الذعر للاستوديوهات الكبرى التي انكبت على تغيير مواعيد عرض أفلامها تجنبا لمواجهة مباشرة مع هذا الفيلم الذي بدأ الإعلان عنه حتى وهو في المراحل الأولى للتصوير، من انه يستحق نجاحا جماهيريا لا مثيل له في موسم الصيف، وهو الموسم الذي تراهن عليه شركات الإنتاج في تسويق نتاجاتها، وقوة هذه الدعاية وصلت إلى حد أن منافسي هذا الفيلم استعانوا به في إعلاناتهم الخاصة، كما حدث مع فيلم منافس آخر في حينه هو فيلم (اوستن باور) المستوحى من أفلام التجسس في الستينيات الذي اعتمد إعلانا يقول "إذا كنتم لا تريدون سوى مشاهدة فيلم واحد في هذا الصيف فشاهدوا - حرب النجوم - لكن إذا كنتم راغبين في مشاهدة اثنين فعليكم بـ - اوستن باور - "، وسرعان ما خطف (حرب النجوم) ثمار هذه الحملة الدعائية الكبيرة.

ومع الفتح الكبير للثورة المعلوماتية، اخذ صناع السينما الاعتماد على شبكة الانترنيت كوسيلة دعائية مهمة ، فقد أصبحت النتاجات السينمائية الضخمة متوافرة على مواقع لها على هذه الشبكة وقد شكل (مشروع الساحرة بلير) سابقة في مجال الدعاية السينمائية التي كان لها الفضل في النجاح التجاري غير المسبوق لهذا الفيلم، والذي حقق أكثر من مليون دولار في صالات العرض الأميركية وحدها، في وقت لم تتجاوز تكلفته سوى آلاف الدولارات.

ولم يتوقف منتجو الأفلام عند أسلوب واحد في الدعاية بل اعتمدوا طرق أساليب مبتكرة، البعض منها لا يخطر على بال، وأصبح هاجس الدعاية يبدأ مع تبلور فكرة صناعته لضمان نجاح المنتج الفيلمي هذا.

ولعل ما ذهب إليه صناع فيلم (حرب العوالم) لستيفن سبيلبرغ في اعتماد طريقة مبتكرة في الدعاية، دليل على ذلك، فقبل انطلاق الفيلم بأيام يستغل صانعوه ظهور بطل الفيلم النجم توم كروز في البرنامج الشهير (أوبرا) ليعلن عبر هذا البرنامج وبطريقة مسرحية ارتباطه بممثلة شابة ، تظهر من خلف كواليس البرنامج فجأة أمام الملايين من مشاهدي هذا البرنامج.

أفلام زمان

الزيارة The Visit (١٩٦٤)

عادل العامل

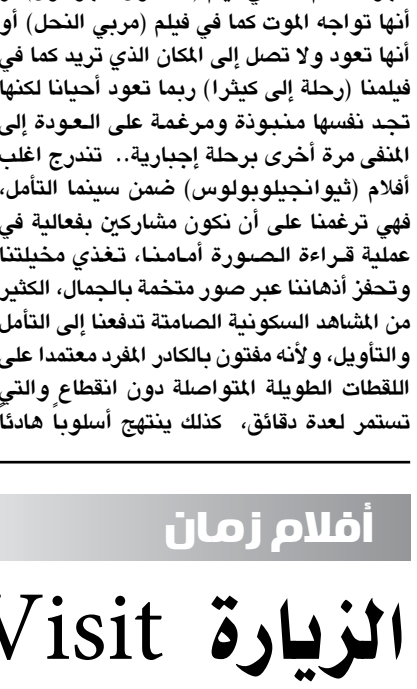

كان هذا الفلم المثير إنتاجاً مشتركاً من فرنسا، و إيطاليا، و و ألمانيا، و الولايات المتحدة، و من توزيع شركة فوكس القرن العشرين. و قد أخرجه بيرنهارد ويكي و أنتجه ديريل ف. زانوك و جوليان ديرود مع إنغريد بيرغمان و أنثوني كوين كمساعدين في الإنتاج. و كان السناريو لبين بارزمان، و قد كيّفه موريس فالينسي عن مسرحية (زيارة السيدة العجوز) ١٩٥٦ للكاتب السويسري فريدريك دورينمات، (المتوفي عامَ ١٩٩٠). و يقوم بتمثيل الأدوار الرئيسة إنغريد بيرغمان و أنتوني كوين مع إيرينا ديميك، باولو ستوبا، هانس كريستيان بليتش، روملو فالي و آخرين. و يستغرق عرض الفيلم ١٠٠ دقيقة.

أما حبكة القصة فتتلخص في عودة كارلا زاتشاناسيان (التي تمثل دورها أنغريد بيرغمان)، و هي امرأة ثرية جداً إلى القرية المضمحلة التي كانت قد أرغمت على مغادرتها قبل سنين ملطخةً بالعار. و كانت قد أنجبت طفلاً من سيرج ميلر (أنطوني كوين) الذي أنكر أن يكون أباه. و غرضها من هذه " الزيارة " هو عقد صفقة مع أهل القرية - ففي مقابل مبلغ كبير من المال، تريد منهم أن يقوم أحدهم بقتل ميلر. فكان هناك في الأول تردد و ممانعة، لكنهم قبلوا في نهاية الأمر بالترتيبات المتعلقة بذلك، و أدين ميلر و حُكم عليه بالموت. و في اللحظة الأخيرة، توقف كارلا تنفيذ الحكم و تقول للمواطنين أنه بهذا سيتوجب عليهم أن يعيشوا مع الشعور بالذنب بقيةَ حياتهم لما كان من الممكن أن يحدث لو لم توقف التنفيذ (في المسرحية يُقتل).

و يؤكد دورينمات أن (الزيارة) هي من نوع الكوميديا التراجيدية. و هي، على كل حال، دراسة للعناصر الأكثر قتامةً في الطبيعة البشرية. فموضوعات الفيلم، كما هي الحال في المسرحية، الجشع، و الانتقام، و الفساد و حقيقة أن المال يمكن أن يشتري أي شيء، حتى العدالة. و القوة التي تنشأ من المال يمكن أن تؤدي إلى الكره و حتى القتل و إلى انهيار الأخلاقية الاعتيادية.

أنطوني كوين مع أنغريد بيرغمان

من روسيا ستالين إلى ألمانيا هتلر: الفتى الشجاع من باري

ترجمة عباس المفرجي

مشهد من الفيلم

أرادت والدة غاريث جونز له أن يحظى بوظيفة لطيفة آمنة في الحقل الأكاديمي. ((لماذا))، كتب لها، متحيّرا، ((هل تريدين لابن من أبنائك أن لا تكون له شجاعة؟)).

"ستوريفيل: هتلر، ستالين ومستر جونز" (قناة بي بي سي ٤) كان فيلما محتشدا، قويا ومؤثرا (مفسد فقط بصوت التعليق الدراماتيكي على نحو غريب والذي يثابر طوال الفيلم)، يجمع، مع بعض، أجزاء من قصة استثنائية ومنسية تقريبا لفتى استثنائي ومنسي تقريبا من باري.

بعد موته أصبح شهيرا في بريطانيا بالرجل ((الذي عرف أكثر مما ينبغي))، الصحفي الشاب الجريء الذي طاف من قرية بائسة أشبه ببقال من الطبقة الوسطى... تفاجأت بابتسامته")، معجبا في ما بعد بما فعله لبلده. رغم إدراكه بالتهديدات التي تشكلها النازية، فإن اهتمامه كان في محل آخر – حول الإشاعات التي وصلته عما أصبح معروفا بالمجاعة الكبرى التي انتشرت في روسيا.

عاد جونز إلى روسيا، وتحدث مع الناس الذين كان من المفروض أن لا يتحدث إليهم، وقاسم طعامه مع عامل، قال له :((أنا الآن آكل معك شيئا مدهشا جدا، بإمكاني الآن أن أموت.)) دعي إلى مؤتمر صحفي في برلين، مستغلا منصبه كأحد مساعدي لويد جورج، ليروي للصحفيين قصته. لا احد – على الأقل كل اليسار – كان يرغب في أن يعرف. باستثناء هتلر، الذي بالكاد ساعد في قضيته. وهكذا أصبح جونز برسونا نون غراتا في كل مكان من تشرت حتى الشيشان.

غداجونز أكثر فأكثر واقعا في شرك السياسة – والسياسة الواقعية – عندما ذهب إلى ألمانيا في ١٩٣٣، ضمن وفد مساعدي لويد جورج. التقى غوبلز، وهتلر ("كان يبدو أشبه ببقال من الطبقة الوسطى... تفاجأت بابتسامته")، معجبا في ما بعد بما فعله لبلده. رغم إدراكه بالتهديدات التي تشكلها النازية، فإن اهتمامه كان في محل آخر – حول الإشاعات التي وصلته عما أصبح معروفا بالمجاعة الكبرى التي انتشرت في روسيا.

عاد جونز إلى روسيا، وتحدث مع الناس الذين كان من المفروض أن لا يتحدث إليهم، وقاسم طعامه مع عامل، قال له :((أنا الآن آكل معك شيئا مدهشا جدا، بإمكاني الآن أن أموت.)) دعي إلى مؤتمر صحفي في برلين، مستغلا منصبه كأحد مساعدي لويد جورج، ليروي للصحفيين قصته. لا احد – على الأقل كل اليسار – كان يرغب في أن يعرف. باستثناء هتلر، الذي بالكاد ساعد في قضيته. وهكذا أصبح جونز برسونا نون غراتا في كل مكان من تشرت حتى الشيشان.

في عام ١٩٣٥، حانت له فرصة للبدء من جديد مسيرته المهنية، حين تنامى النزاع بين اليابانيين، الصينيين والسوفييت حول الشرق، فذهب إلى هناك. ((يا له من حظ سعيد!)) كتب إلى أمه عندما وصل إلى منشوريا ((ثمة أحداث عظيمة هنا!)) بعد ذلك اختطفته عصابة وقتل بعد ثلاثة أسابيع – في محاولة إنقاذ خرقاء، كما زعمت وزارة الخارجية، لكن الملفات التي أطلقت في حينها أوحت بأن لليابانيين أو السوفييت ضلعا في مقتله، وغطى البريطانيون على الموضوع لتجنب التأثير العائق المفيد الذي يملكه الجانبان على بعض في الصين. توفي جونز قبل يوم من بلوغ مولده الثلاثين.

وذلك، يا أصدقائي، هو السبب الذي يجعل الأمهات يردن أن تحصلوا على وظائف آمنة في الحقل الأكاديمي. وهو أيضا، بالمصادفة، السبب الذي يجعلني أنا، التي أجلس طوال اليوم أشاهد التلفزيون وأطبع على اللاب توب، أن لا أدعو نفسي صحفية.

عن صحيفة الغارديان